



THE UNIVERSITY *of* EDINBURGH

## Edinburgh Research Explorer

### 'I'ada bina' haraka islamiyya taht nizam 'ilmani istibdadi

**Citation for published version:**

Pierret, T 2009, 'I'ada bina' haraka islamiyya taht nizam 'ilmani istibdadi: Jama'at Zayd bi-Dimashq namudhijan', *Misbar (al) (Abu Dhabi)*, no. 31, pp. 33-42.

**Link:**

[Link to publication record in Edinburgh Research Explorer](#)

**Document Version:**

Early version, also known as pre-print

**Published In:**

*Misbar (al) (Abu Dhabi)*

**General rights**

Copyright for the publications made accessible via the Edinburgh Research Explorer is retained by the author(s) and / or other copyright owners and it is a condition of accessing these publications that users recognise and abide by the legal requirements associated with these rights.

**Take down policy**

The University of Edinburgh has made every reasonable effort to ensure that Edinburgh Research Explorer content complies with UK legislation. If you believe that the public display of this file breaches copyright please contact [openaccess@ed.ac.uk](mailto:openaccess@ed.ac.uk) providing details, and we will remove access to the work immediately and investigate your claim.



على الإدريسي - باحث مستقل متخصص في الحركات الإسلامية  
بناء أو إعادة بناء حركة إسلامية في ظل نظام شمولي عسكري علماني \_ دراسة سوريا كحالة

بناء أو إعادة بناء حركة إسلامية في ظل نظام شمولي عسكري علماني \_ دراسة سوريا جماعة زيد  
الدمشقية كحالة  
على الإدريسي أنو-لافان وهو باحث فرنسي من جامعة باريس مستقل متخصص في الحركات  
الإسلامية

مقدمة:

بعد القمع الدموي لما عرف بانتفاضة حماه في العام 1982 نادى سعيد حواي وهو أبرز مفكر ومنظر داخل حركة الإخوان المسلمين في سوريا نادى بإعادة بناء الحركة الإسلامية في البلاد وفقاً لما وصفه "الربانية"<sup>1</sup> وهو مصطلح مرادف للصوفية أو - إذا شئنا الدقة - للصوفية الجيدة الحنية وهي تلك التي تجمع بين الروحانية والعلم<sup>2</sup>.. ووفقاً لمفهوم للحواي فإن الحركة الإسلامية يجب أن تبتعد عن العنف السياسي المرتبط بالأحزاب وهو الذي أدى إلى مسار إنتحاري في سوريا في ثمانينات القرن الماضي وتركز عوضاً عن هذا على مواجهة المزاج العلماني من خلال التعليم الديني والاعتماد على شبكة غير نظامية من رجال الدين غير الرسميين. هذا التوجه الذي تبناه حواي لم يكن ميالاً للهدوء والاستسلام بصورة اجمالية حيث إن مفهومه للتعليم الديني الرباني تضمن ضميراً سياسياً واجتماعياً نشأ جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية المكتوبة الشرعية والروحانية الصوفية تزكية النفس..

هذا الإطار التنظيمي قام على تجربة حواي الشخصية خلال الوحدة القصيرة بين مصر وسوريا بين عامي 1958 و 1961 عندما حاول استغلال تسامح النظام الناصري مع الأخوة الطرق الصوفية لاختفاء أنشطة الإخوان المسلمين في حماة بعد حل الأحزاب السياسية في البلاد<sup>3</sup>.. وعلى الرغم من هذا فإن حواي استلهم نموذج الشيخ الدمشقي عبد الكريم الرفاعي (1904-1973) والذي اعتاد التردد على مسجده في أواسط خمسينات القرن الماضي<sup>4</sup>... وعلى الرغم من أن نظرة الرفاعي كانت تقليدية إلا أنه نجح في انشاء حركة خلاقة تجديدية ستغير بدرجة كبيرة من شكل المشهد الإسلامي في دمشق في الحقبات المقبلة..

## 1- الخروج من جماعة ظهور الحركات الإسلامية المعاصرة:

Formatted: Highlight

خلال الفترة مرحلة ما بين الحربين العالميتين الحروب الداخلية (وفي جنوب اسيا بدأت هذه الفترة منذ منتصف القرن التاسع عشر) شهد العالم الإسلامي بروز نوع جديد من الكيانات الاجتماعية التي أطلق عليها أسم الجماعات ومنها بـ كل الجماعات شبكة مدارس الديوبندية<sup>5</sup> والبرلوية<sup>6</sup> و جماعة التبليغ والدعوة للتبليغية<sup>7</sup> في الهند والجماعات المنبثقة عن النظام الطريقة النقشبندية في تركيا مثل النورجو والسليمانجية<sup>8</sup> وغيرها وحتى جماعة الإخوان المسلمين في مصر<sup>9</sup> اعتمدت كلها بقوة على التعليم التربوي الصوفي الروحية ونظام للجماعات طرق الصوفية القائم على العلاقة بين الأستاذ الشيخ ومريديه المريد. رغم ذلك فإن هذه الجماعات اختلفت عن الأخوة الطرق التقليدية السابقة في أكثر من جهة منها أنها في الغالب تضمنت أعداداً أكبر بكثير ومنها أن هويتها تحددت وفقاً لعدو محدد مثل الاستعمار أو العلمانية أو

<sup>1</sup> - إنز شاك وليز ماني إيسمن: "سعيد حواي والإحياء الصحو الإسلامية في سورية البعثية". ستوديا إسلاميا، 85، 1 - ص 143-149  
<sup>2</sup> - وفقاً للشيخ أسامة الرفاعي وهو واحد من أبرز العلماء المعاصرين للمفهوم المنتشر في سورية فإن الرباني هو الشخص القريب من الله والذي

يقرب الآخرين من الله - مناقشة مع المؤلف في دمشق - مارس 2007

<sup>3</sup> - سعيد الحواي: "هذه تجربتي.. هذه شهادتي" - القاهرة: مكتبة وهبه، 1987 - ص 46-47

<sup>4</sup> - وليز ماني إيسمن: "سعيد حواي والإحياء الصحو الإسلامية" ص 145

<sup>5</sup> - باربرا دالي ميتكالف: "الإحياء الصحو الإسلامية في الهند البريطانية: ديوباند 1860-1900" - نيودلهي: نيويورك: مطبوعات جامعة أوكسفورد، 2002

<sup>6</sup> - أوشا ساتيال: "الإسلام للتكريسي الشعبي" والسياسة في الهند البريطانية: أحمد رضا خان باريلوي وحركته 1870-1920 - نيودلهي: نيويورك: مطبوعات جامعة أوكسفورد 1996

<sup>7</sup> - يوغندر سيكاند: "أصول وتطور جماعة التبليغ 1920-2000" دراسة في أكثر من دولة - نيودلهي - مطبوعات أوينت لونغمان 2002

<sup>8</sup> - هاكان يافوز: "الهوية الإسلامية السياسية في تركيا" - مطبوعات جامعة أوكسفورد، 2003 و ثيري زاركون: "تركيا الحديثة والإسلام" - باريس: مطبوعات دار فلاماريون - باريس، 2004.

<sup>9</sup> - بريتنار ليا: "مجمعة جماعة الإخوان المسلمين في مصر: صعود حركة إسلامية جماهيرية" - ريدينغ: مطبوعات إنكا، 1998

**الجماعات-المؤسسات** التبشيرية المسيحية وغيرها ولهذا وجهت هذه الجماعات انشطتها الاجتماعية تجاه هذه العدوات.. وبكلمات أخرى فإن هذه الجماعات كانت مرهونة بمهمة اجتماعية ما حدى بعلم الاجتماع الحديث إلى أن يطلق على هذه الجماعات "حركات اجتماعية".. ورغم أن الجماعات التي تأسست في سوريا في الفترة بين العشرينيات والخمسينيات من القرن الماضي كانت أصغر وأقل شهرة من الجماعات المذكورة آنفاً إلا أنها غيرت المجال الديني المحلي بصورة ثورية.. والحقيقة أن نشوء هذه الجماعات تزامن مع اختفاء الطبقة العليا من علماء الدين الذين اتجه أبناءهم إلى **الدراسة العلوم العصرية العلمانية- في الجامعات المدنية**.. ونتيجة بهذا برزت طبقة وسطى من علماء الدين **الذين ارتبطوا-المنبثقين من الأسواق-السوق** وقادوا الحملة المضادة للثقافة **العلمانية** التي حاول الاستعمار الفرنسي والطبقة البرجوازية نشرها... في دمشق وعلى الرغم من أن قادة **صحوقما سمي بالنهضة العلمية للعلماء تلك** أعلنوا أنهم يحافظون على تراث نفس **الإستاذ الشيخ** وهو **للشيخ ذائع الصيت المحدث الأكبر** بدر الدين الحسني (1850-1935)<sup>10</sup> ورغم أنهم جمعتهم **معتقدات-اتجاه تقليدي مذهبي صوفي صوفية** إلا أنهم تبنوا استراتيجيات مختلفة.. فالشيخ علي الدقر (1877-1943) أسس عدة مدارس ابتدائية و**ثانوية** بهدف مواجهة النفوذ الثقافي للتعليم العلماني الفرنسي.. أما صالح الفرفور (1901-1986) و حسن **هابانكا-حبكة** (1908-1978) ففضلاً التركيز على تدريب علماء المستقبل من خلال إنشاء معاهد للدراسات **الإسلامية العليا الشرعية المتخصصة**.. وبالنسبة لعبد الكريم الرفاعي (1904-1973) وهو شيخ من سوق باب **سرجي-سريجة** فإنه صمم منهجه للوصول إلى نسبة أكبر من المستمعين من خلال تأسيس **حركة على مستوى القاعدة جماعة دعوية تروية**.. فبدلاً من المدارس **الرسمية النظامية أصبح يؤسس في الخمسينيات جماعات دراسية حلقات عديدة** تتخذ من المساجد مقار لها وتشمل عدة مستويات وحضرها **العمال سواهم من الحرفيين الحرفيون وأول التجار أو العلمين في المحال التجارية** بالإضافة إلى **التلاميذ طلاب الثانويات والجامعة**.. وكان الرفاعي يشجع تلاميذه الشباب بقوة على الانخراط في **التعليم العلماني للدراسات العصرية** لأنهم عندما يصبحون أطباء أو مهندسين سيقدمون النموذج الورع للمجتمع..<sup>11</sup> أطلق على جماعة الشيخ الرفاعي **جماعة زيد نسبة إلى مسجد زيد بن ثابت الأنصاري الذي كان يخطب ويدرس فيه**

## 2- المنظمة: المسجد والأخوة:

إن تأكيد الرفاعي الدائم على أهمية المسجد كإسناد للدعوة الإسلامية ودعوته المستمرة لتحويل المسجد إلى جامعة<sup>12</sup> كانت مرتبطة بصورة كبيرة **للسيخ لظروفت الثقافي في ذلك الوقت**.. فمع الوضع في الاعتبار لانتشار الأفكار العلمانية كان من المهم أن لا يتحول **يكون المسجد إلى مكاناً للعبادة فقط** قلماً يقدم تعليمياً بل **إلى مكان للحياة الاجتماعية** بحيث يقضي فيه الشباب معظم أوقات فراغهم.<sup>13</sup> وبكلمات أخرى فإن المساجد كانت ستتحوّل إلى حجر الأساس لمجتمع إسلامي بديل. أعطى الشيخ الرفاعي الأولوية لتعليم مريديه ما اعتبره الأساس... ليس فقط حفظ القرآن الكريم **ومبادئ الفقه** بل أيضاً **للروحانية التربوية الروحية والقيم الأخلاقية التي تعني الصوفية أي التصوف**.. وبالفعل فوفقاً لمعظم علماء المسلمين غير **السلفيين** فإن تعليم العلوم **للإسلامية الشرعية** يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع ما **يسمى بالتربية للتربية**، وهي مجال المسؤولية التي يتحملها شيوخ **الأخوة الطرق الصوفية**.. ورغم أن بدايات **انتسب** الشيخ الرفاعي كانت **في إلى الطريقة النقشبندية** إلا أنه لم ينقل هذا الطريق الصوفي إلى ورثته بل اختار أن يؤسس **نوع من تقليد طريقة جديدة** بطقوس أقرب إلى سنة النبي محمد (ص) عنها إلى

<sup>10</sup> - اتزتشاك **وايزماني-يسمن**: "ابتراع اختراع قائد إسلامي ذي شعبية شيعي: بدر الدين الحسني... الحركة التعليمية الدينية والثورة السورية الكبرى" أر إيليكا 52 - عام 2005 ص 109 - 39

<sup>11</sup> - خالد عالولفا: " الشيخ عبد الكريم الرفاعي العالم الرباني والداعية المجدد" مقالة منشورة على موقع صدى

زيد. [www.sadazaid.com/zaid/modules.php?name=News&file=article&sid=28](http://www.sadazaid.com/zaid/modules.php?name=News&file=article&sid=28)

<sup>12</sup> - سارية الرفاعي: " من فقه الدعوة " على موقع صدى زيد (دمشق 2006)

<sup>13</sup> - اسامة الرفاعي في مناقشات مع الكاتب - دمشق - مارس 2007

على الإدريسي - باحث مستقل متخصص في الحركات الإسلامية  
بناء أو إعادة بناء حركة إسلامية في ظل نظام شمولي-عسكري علماني \_ دراسة سوريا كحالة

الطرق الصوفية القديمة...<sup>14</sup> وأطلق على جماعة الشيخ الرفاعي جماعة زيد نسبة إلى مسجد زيد بن ثابت الذي كان يعمل فيه وحافظت هذه الجماعة على النموذج الصوفي التربوي القديم في العلاقة بين الأستاذ الشيخ والتلميذ والمريد حيث لم يكتف الشيخ بتقديم المعرفة الدينية علم شرعي جاف إلى تلاميذه بل أصبح يمثل لهم نموذجاً قوياً صالحة يجب تقليده دائماً..

كان العنصر الصوفي محورياً في تماسك جماعة زيد في غياب أي كيان رسمي عدا تلك المخصصة للأنشطة الاجتماعية كالمؤسسات كالجمعيات الخيرية... هيكل الحركة كان مشابهاً للأخوة لطريقة الصوفيّة. أفقياً كانت الحركة في شكل شبكة من المساجد التي كان القائمون عليها يتشاركون حب واحترام شخصية الشيخ عبد الكريم.. راسياً كانت الحركة بشكل عام ووحدات المساجد منظمة على شكل تنظيمات هرمية غير رسمية رسمية إلا أنها قوية التنظيم وكان تماسك هذه التنظيمات معاً مضمون من خلال العلاقات الروحية بين الأستاذ الشيخ المؤسس ومريديه وبين هؤلاء المريدين وتلاميذهم..

في الأخوة الطرق الصوفية التقليدية فإن شخصية العضو تبرز من علاقته الشخصية بالشيخ المعلم المربي وليست أكثر من انتمائه لأي طريقة صوفية معينة.. ولهذا فإن تماسك هذه الجماعات رغم قوته الشديدة إلا أنه قد يهتز بوفاة الشيخ وتعدد خلفاء المحتملين وهو ما ينتج عنه في الغالب ظهور جماعات فرعية جديدة تحكم نفسها بنفسها. وعلى النقيض من هذا فإن المهام الاجتماعية التي كلف بها الشيخ الرفاعي حركته سمحت بالتغلب على هذه النواقص.. فبعد وفاة الشيخ انتقلت كاريزمته الروحية - طبقاً للطريقة النموذج الصوفية - إلى أبنائه وأبرز مريديه ما قد عرض وحدة المجموعة الجماعة للخطر إلى أن ولكن كاريزمته السياسية والاجتماعية الحركية تعني كاريزمة الشخص القادر على تغيير المجتمع استمرت من خلال حركته الاجتماعية - جماعة زيد - التي مثلت مصدر لشخصية لهوية جماعية قوية لاتباعه..

وبفضل هيكلها غير الرسمي المعتمد على خيط من العلاقة الروحية بين الأستاذ والمريد - وهو ما يضمن التماسك على نطاق ضيق وفترة قصيرة - والهوية القائمة على أساس الرسالة - وهي ما تحافظ على تماسك الجماعة لفترة أكبر وعلى نطاق أوسع.. ولهذا لم تعان حركة جماعة زيد بصورة فعلية من انقلاب حزب البعث العام 1963. بالفعل لم تتأثر الحركة بقرار حظر الأحزاب السياسية الرسمية والعوائق القانونية على الجمعيات<sup>15</sup> لم تؤثر إلى على الأفرع الخيرية التابعة للحركة<sup>16</sup> وليس على كيانها التنظيمي الفعلي ...

Formatted: Not Highlight

Formatted: Not Highlight

Formatted: Not Highlight

### 3- الفكر: التفكير في المجتمع والسياسة

Formatted: Highlight

لم يبد الرفاعي اهتماماً كبيراً بالسياسة.. وكانت أولويته تأسيس الفرد المسلم والمجتمع المسلم<sup>17</sup> وعندما ازدادت قوة جماعته في ستينات وسبعينات القرن الماضي كان النظام الشمولي البعثي يجعل من المشاركة السياسية السلمية أمراً شبه مستحيل... ورغم هذا فإن موقف الشيخ تجاه العمل السياسي كان إيجابياً بمعنى أنه بالسيرة على خطى مؤسسي جماعات أخرى مثل سعيد النورصي النورصي في تركيا وحسن البنا في مصر، اعتبر الشيخ أن عملية بناء الوعي لها دور في التعليم للعالمي الشمولي الذي كان ينوي تقديمه لتلاميذه... ويشير سعيد الحواشي أن حلقات دراسية علمية خصصت للعلوم الكونية أو غير الدينية وأن

<sup>14</sup> - ملاحظات ومقابلات أجراها المؤلف - دمشق 2006-2007

<sup>15</sup> - سكيّنة بوخيّمة: "حركة الجمعيات في سوريا - الساطات والجمعيات في العالم العربي" تحرير سارة بن نفيسة - باريس طبعة 2002 CNRS

ص 83 - 5

<sup>16</sup> - سكيّنة بوخيّمة: "المرحلة الحركية الاجتماعية للجمعيات في سوريا - القوى الساطات والجمعيات في العالم العربي" تحرير سارة بن نفيسة -

باريس طبعة - 2002 CNRS ص 83 - 5

<sup>17</sup> - في رأيي فإن هذا التأكيد يجب أن يؤخذ بمعناه السطحي.. فمثل غيره من العلماء المسلمين من الجائز أن الرفاعي كان يدعو لإنشاء دولة إسلامية لكن هذا المفهوم لم يكن التركيز الرئيسي عنده.. فمن جانب عندما يدعي العلماء أن هدفهم الرئيسي هو الفرد والمجتمع وليس الدولة فإنهم بهذا يدافعون عن دورهم الاجتماعي وهويتهم حيث أن التعليم والتربية وليس الجانب العسكري السياسي هو مساهمتهم الأبرز.. وعلى الجانب الآخر عندما بدأ الشيخ عبد الكريم الرفاعي حركته في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي كانت الطبقة البرجوازية التي تحكم سوريا خفيفة ما جعل الظروف مناسبة لحركة اجتماعية تؤثر على المجتمع من غير أن تسيطر على الدولة... إن نشأة فكر اليس الدولة الأمنية الاستبدادية في الشمل الشام في الستينات في الستينات هي التي دفعت بالناس مثلاً لنصار أفكار السيد قطب أن تستهويهم فكرهم مفهوم الدولة.. على الرغم من هذا فإن الرفاعي مثله مثل الكثير من قادة التيار الإسلامي توصل لنتائج متضاربة من هذا الموقف الجديد واعتبر أن التدخل السياسي المباشر أمر غير مستحب نظراً لأن السياسة تحولت لأمر خطير وغير شرعي..

الشيخ لم يقدم بعض الموضوعات (قد يعني الحواري هنا القضايا السياسية)<sup>18</sup> في المسجد بل أمر أخوانه بدراساتها في المنزل..<sup>19</sup> ويتذكر عضو سابق في الحركة أنه كان هناك بعدان في الدروس-الزبد هما البعد الديني والبعد العصري.. ويقول: " لقد درسنا الفكر أي <sup>20</sup>أبو-التفكير في القضايا الاجتماعية والسياسية وكان هذا غالباً من خلال كتب سعيد رمضان البوتي-البوطي وأبو الأعلى المودودي وفتحى يكن وكنا نحصل على التشجيع اللازم لتنمية مهارتنا في كتابة الأدب أو الشعر..<sup>21</sup>

عضو سابق في جماعة أبي ذؤنر - وهي جماعة مماثلة لجماعة زيد نشأت في حلب تحت رعاية الشيخ أحمد عز الدين البيانوني<sup>22</sup> - يصف اتجاه هذه الجماعات بالقول أنها تعمل على بناء الفرد المسلم من خلال المعرفة الدينية والتعليم الشرعي والتربية الروحانية بالإضافة إلى قطرات من الفكر..<sup>23</sup> هذا الفكر كان يتم تدريسه إما فردياً أو من خلال حلقات العلم وهي مجموعات من حوالي عشرة أشخاص كانت تلتقي مرة واحدة أسبوعياً على الأقل تحت إشراف أحد المريدين المتقدمين في منزل أحد الأعضاء أو في المسجد... هذه الحلقة كانت شبيهة بنظام الأسرة التي طبقها الإخوان المسلمون في مصر كما كان يمكن مقارنتها بنظام الخلايا في الأحزاب السياسية الحديثة.. هذه الخلايا تستخدم لتمثيل السلطة وتقوية سيطرة الحزب على الأجنحة العسكرية.. أما في المجال الديني فإن هذه الخلايا تسمح لجميع المشاركين بتقاسم حياتهم والبحث في دينهم على مستوى أعمق من المتوفر في الاجتماعات الموسعة المجالس العامة.. وقد شرح العضو السابق في جماعة أبو-أبي ذر للمؤلف أنه بالإضافة إلى الدراسة ومناقشة القضايا الاجتماعية والسياسية فإن المهمة الرئيسية للحلقة كانت تبادل خبرات الحياة اليومية والمشاعر.. ويقول أن هذه الطريقة ساعدت دائماً في حل المشاكل الشخصية للأعضاء..<sup>24</sup>

#### 4- الصدام مع النظام:

نتيجة لسعي الشيخ الرفاعي للوصول إلى جمهور واسع بذل جهوداً لا مثيل لها لبناء المساجد الجديدة ولم يمثل تمويل هذه المساجد مشكلة بالنسبة له بسبب علاقاته الحميمة بالتجار وأصحاب المحال التجارية في المدينة.. وخلال الستينات من القرن العشرين بدأت بدأت جماعة زيد في الانتشار خارج معقلها التاريخية في أحياء المدينة القديمة واتجهت إلى أحياء بنيت حديثاً وتسكنها الطبقة الوسطى والعليا مثل أحياء القصور والعباسيين والمزرعة وعدوي والمالكي والمزة-ميزي-ومالكي والمزرعة وقصور وعدوي وميدان العباسيين.. وسرعان ما أصبحت شبكة المساجد التابعة للجماعة هي الأكبر في المدينة وبلغ عدد المساجد فيها نحو ثلاثين مسجد وتمكنت من اجتذاب المتعلمين والشباب من الطبقة المتوسطة وذلك خصوصاً بعد هزيمة عام 1967-1867 التي أضعفت الأنظمة-الأنظمة العلمانية العربية وقوت من الاتجاه الإسلامي..

ويرجع نجاح الجماعة في جذب طبقة الشباب المتعلم أيضاً إلى الحظر الذي فرض في العام 1963 على جماعة الإخوان المسلمين وهي الجماعة التي اعتادت مخاطبة نفس الطبقة.. في منتصف السبعينات بدأت جماعة تسمى طلّاع القتال-الطليعة المقاتلة وهي جماعة منبثقة منشقة عن الإخوان المسلمين بدأت سلسلة من التفجيرات والاعتداءات ضد النظام ومهدت الطريق لانتفاضة على نطاق واسع هزت اسس قوى النظام البعثي... وللوهلة الأولى فإن الأحداث التي وقعت بين عامي 1979 و 1982 بدت محيرة لعلماء الاجتماع.. فجماعة الطليعة المقاتلة-طلّاع القتال التي ظهرت في العام 1979 لم تكن أكبر أو-أوسع نطاقاً

<sup>18</sup> - ان اختصاري يعتمد على فقرة أخرى من الكتاب يستخدم فيها المؤلف نفس العبارات الغامضة في إطار يشير وبوضوح إلى أنه يعني مواضيع سياسية..

<sup>19</sup> - سعيد الحواري: "هذه تجربتي وهذه شهادتي" - ص 53

<sup>20</sup> - الفكر يعرف المفكر كما يعرف العلم الديني العالم... في المجال الإسلامي مصطلح الفكر يمكن أن يشير إلى التفكير الفقهي في المجتمع وفضلت استخدام نفس المصطلح كما ينطق في اللغة العربية بدلاً من ترجمته حيث أن الترجمة إلى "التفكير الديني" قد تتضمن علم اللاهوت المستبعد من مصطلح الفكر كما يعني حالياً..

<sup>21</sup> - مناقشات مع المؤلف - دمشق - يوليو 2007

<sup>22</sup> وهو أبو علي صدر الدين البيانوني المراقب العام الحالي لجماعة الإخوان المسلمين في سورية

<sup>23</sup> - مناقشات مع المؤلف - دمشق - يونيو 2006

<sup>24</sup> - مناقشات مع المؤلف - دمشق - يونيو 2006

**بكثير** من الجماعات الجهادية التي نعرفها في وقتنا الحاضر وهيكل الاخوان المسلمين كانت **مغبرة ضعيفة** نسبياً بسبب طابعها السري... ولهذا فإنه من الصعب شرح كيف - في خلال أشهر - انضم آلاف السوريين الشباب إلى النزاع. ويبدو أن جماعات مثل جماعة زيد وجماعة أبو ذر ساهمت في توسيع نطاق الصراع بتزويد الجماعات المسلحة بشبكات متعددة سلفاً من **المسلحين الأعضاء**. كانت لوائح هذه الجماعات تضم الآلاف من الشباب المتعلم تعليماً عالياً و الذي يمتلك وعياً سياسياً وتربية دينية ولهذا تحولت إلى مطعم للجماعات الراديكالية... وفيما رفض قادة الجماعات الميل لاي طرف في الصراع كان اتباعهم يتعرضون لضغوط بسبب الهجمات المتعددة وقمع الدولة الاعمى والمنشورات التحريضية التي كانت الجماعات المسلحة تقوم بتوزيعها.. في دمشق قام أحد زعماء الصف الثاني في جماعة زيد بعقد تحالف سري مع المتمردين وأقنع بعض أعضاء الجماعة بالانضمام إليه... معظم هؤلاء الشباب قتلوا في النهاية أو سجنوا أما الرؤوس البارزة في جماعة زيد وهم نجلا الشيخ الرفاعي أسامة وسرية و خليفه في رئاسة الجماعة محمد عولاض ففروا إلى العربية السعودية..<sup>25</sup> وفي حلب فر العديد من أعضاء جماعة **أبو أبي** ذر من البلاد بعد فرار قائدهم أبو النصر البيانوني **ابن أحمد عز الدين** ومن بقي منهم سجنوا وأعدموا في مذبحه سجن تدمر العام 1980-1982<sup>26</sup>.

وإذا كانت جماعة **أبو أبي** ذر قد اقتلعت من جذورها للابد في حلب إلا أن شبكة زيد عانت من تجميد معظم انشطتها إلا أنها نجت بفضل قادة الصف الثاني والمتقدمين في السن الذين سُمح لهم بالبقاء.. وكانت الاشتباكات في العاصمة أقل حدة بكثير عن تلك في المدن الشمالية ولم يجد النظام حافزاً لاخلاء العشرات من **مرتادي أئمة وخطباء** مساجد دمشق الرئيسية..

#### 5- السياسة الإسلامية بعد أحداث حماة: إبعاد الفكر عن المسجد

في منتصف التسعينات من القرن الماضي عاد **ابن أبياء** الشيخ الرفاعي جنباً إلى جنب مع **عدد من بعض** العلماء المنفيين في إطار تخفيف محدود للقمع السياسي لصالح الدوائر الإسلامية **وفي محاولة إرضاء التجار المناصرين للعلماء المنفيين... ولعب رجال الأعمال المقربين من حركة زيد دوراً أساسياً في ترتيب عودتهم..** وتدرجياً بدأت الحركة في استعادة قوتها ونتيجة لهذا مع حلول اوائل القرن الحادي والعشرين بدا وكأن شيئاً لم يتغير عن سبعينات القرن الماضي وذلك بفضل الروابط الروحية والهوية القائمة على اساس **الرسالة المهمة الدعوية**... ولهذا استعاد **ابن أبياء** الشيخ الرفاعي مكانتهما كزعيمين لشبكة المساجد دون عقبات تذكر ولم يبدو على شبكة المساجد تلك أنها اهتزت أو تأثرت بأحداث الثمانينات وبدأ الشباب في التدفق عليها مجدداً..

رغم هذا فإن النظام البعثي استخلص دروساً هامة من الانتفاضة الإسلامية بين عامي 1979 و 1982.. من بين هذه الدروس كانت الفصل بين الهيكل التنظيمي والسياسة ولهذا كان يسمح للعلماء السوريين بإنشاء هياكل **سلطة تنظيمية** غير رسمية تقوم على النموذج الصوفي وتطبق العلاقة بين **المعلم الشيخ** والمريد بشرط أن تقصر انشطتها على الجوانب الدينية الصرفة... خلافاً لذلك كان يسمح لبعض علماء الدين **التعبير عن أولئهم السياسية الخوض في الأمور الفكرية** بشرط ان لا ينشطوا في جمع المناصرين ... وفيما يتعلق بحركة زيد كانت هذه المحظورات تعني منع تدريس الفكر في الحلقات الدينية ما حرم الجماعة من البعد المعني ببناء الوعي..

ورغم ان الانطباع العام يرسم الشباب العرب والمسلم على أنه مسيس إلى درجة كبيرة إلا أن علاقتي مع الشباب السوري المنخرط في إطار الجماعات الدينية جعلتني أصل إلى نتيجة **مفادها أنه بالرغم من الوطنية المطلقة إلا أن القضاء على وال الايدلوجيات بعد نهاية الحرب الباردة في سوريا أصابت المجتمع السوري أيضاً** وجعلت الشباب - أقل اهتماماً بالقضايا السياسية لصالح القضايا الشخصية مثل **تكورهم** **تطورهم** الشخصي والنجاح في الامتحانات والحصول على وظيفة والزواج.. ونتيجة لهذا فإن نشر الوعي بالقضايا الاجتماعية والسياسية بين الشباب كان مهمة شاقة للغاية لرجال الدين الذي رغبوا فيها بسبب

Formatted: Not Highlight

Formatted: Not Highlight

Formatted: Not Highlight

Formatted: Not Highlight

<sup>25</sup> -مقابلات مع مصادر رفضت الإعلان عنها أجريت في دمشق وفي حلب المؤلف - حلب - 2006-2007

<sup>26</sup> -مقابلات مع المؤلف - حلب - 2006-2007



الظروف المحيطة بهذه العملية وبخاصة حظر دروس-تعليم الفكر المعاصر في الحلقات المساجد المسجدية.. بعض الشيوخ اعتمدوا على توزيع كتب لمفكرين سياسيين إسلاميين معتدلين مثل البوطي والنورسي والنورسي وواللهندي-أبو الحسن الندوي الهندي (1914-1999) <sup>27</sup> لعدد من الأتباع الذين اعتقدوا أنهم مؤهلين للتعامل مع هذا النوع من الفكر الأدب... إلا أن بداية عصر الانترنت في سوريا في أوائل القرن الحادي والعشرين منح رجال الدين أداة ذات تأثير أبعد بكثير لنشر الفكر الإسلامي بعيداً عن المساجد... فبعض المواقع على الانترنت مثل صدى زيد <sup>28</sup> التابع لحركة لجماعة زيد لم تقصر نشاطها على نشر كتب المفكرين الإسلاميين البارزين مثل سعيد رمضان البوطي ويوسف القرضاوي بل أيضاً مؤلفات لقادة الحركة ومشاركات الكوادر والأتباع... خلال الشهر الماضي في السنوات الأخيرة نشر بعضهم موضوعات مثل "موقف المسلمين من الديموقراطية" و" العلمانية: المفهوم والحقيقة" و" القانون الدولي" و" دعائم المجتمع الإسلامي الصالح" و" من هم أنسب الأشخاص لدخول البرلمان" وغيرها.. ورغم أن محتوى هذه المقالات معتدل للغاية إلا أن نشرهم على هذا النطاق الواسع من قبل حركة منظمة كبيرة لهو تطور هام في مجال الحركة الدينية في سوريا..

Formatted: Highlight

Formatted: Highlight

في فبراير العام الفين وسبعة أطلقت حركة ويديز أول موسم من مسابقة عبد الكريم الرفاعي للفكر الإسلامي لطلاب المساجد وكان على المتسابقين إرسال أوراق بحثية من عشرين صفحة وفقاً للمعايير البحثية وتتناول موضوعات مثل "الإسلام والإرهاب" و" الإسلام وحقوق الإنسان" و" الإسلام والعولمة" وغيرها.. موفقاً لمنظمي المسابقة فإن أفضل أبحاث سيتم اختيارها لنشر في جريدة فصلية إسلامية هي الأولى من نوعها منذ العام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين <sup>29</sup>

Formatted: Highlight

Formatted: Highlight

## 6- المبادرات لمبادرات خيرية مؤسسة على الإيمان - والوتحذيرات - على أسس إيمانية:

عندما سألت الشيخ أسامة الرفاعي النجل الأكبر للشيخ عبد الكريم والزعيم الروحي لحركة زيد عن أبرز التطورات التي أثرت على الحركة منذ وفاة مؤسسها كانت أجابته أنها تمكنت جماعة زيد في السنوات الأخيرة من إنشاء المزيد من المشروعات الخيرية كـالأمر الذي ساهم في تقريب بين الحركة والنظام منسجت علاقات مع الحكام <sup>30</sup>

خلال فترة الخمسينات من القرن الماضي أسس عبد الكريم الرفاعي العديد من الجمعيات الخيرية في الأحياء المجاورة وتولى محييه من التجار في السوق مسؤولية تقديم التمويل اللازم لهذه الجمعيات.. <sup>31</sup> ورغم أن كل شيوخ مرحلة الصحة النهضة العلمية كانوا على علاقات قوية بتجار الأسواق إلا أن الشيخ عبد الكريم الرفاعي استهدف الوصول إلى عوام الناس و أقام شبكة غير مسبقة من العلاقات مع تجار من الطبقة المتوسطة العليا.. <sup>32</sup> وبعد انقلاب حزب البعث العام 1963 عانت الجمعيات الإسلامية من المحاذير التي فرضتها قوانين الطوارئ- والتي لا تزال مطبقة حتى للعام الفين وسبعة اليوم - إضافة إلى المنافسة مع العديد من الجمعيات الخيرية الرسمية والتجمعات منظمات الشعبية الرسمية والنقابات العمالية التي هدفت لتجميع الناس تحت شعار القومية العربية الاشتراكية.. <sup>33</sup> وبعد الاحداث الدامية بين 1979 و 1982 ازدادت شكوك النظام من الجمعيات الخيرية الإسلامية إلا أن التدهور الاقتصادي الذي

<sup>27</sup>- يوغندر سيكاند: " السيد عبدأبي الحسن علي الندوي والفكر الإسلامي المعاصر في الهند" - سلسلة بلاكويل كومبايون عن الأديان - الفكر الإسلامي المعاصر - دار بلاكويل للنشر - عام 2006 (ص 88-104)

<sup>28</sup>- www.sadazaid.com

<sup>29</sup>- نشر المجلات الشهرية "التمدن الإسلامي" - التابعة للسلفيين الإصلاحيين - و "حضارة الإسلام" - اتجاه الاخوان المسلمين - توقفت بسبب الانتفاضة الإسلامية ونشرت وزارة الشؤون الدينية مجلتها الخاصة "نهج الإسلام"

<sup>30</sup>- في مناقشة مع الكاتب، دمشق، الخامس من مارس 2007.

<sup>31</sup>- خالد علولة علولا: " الشيخ عبد الكريم الرفاعي العالم الرباني والداعية المجدد" مقالة منشورة على موقع صدى

زيد. www.sadazaid.com/zaid/modules.php?name=News&file=article&sid=28

<sup>32</sup>- هذه المجموعة تضمنت عائلات شهرية سابقاً وتجار من الأحياء الحضرية التقليدية. وبعد هجمات حزب البعث على الراسماليين الكبار في الستينات، سيطرت الطبقة الوسطى-العليا من التجار على جزء كبير من تجارة سوريا داخلياً وخارجياً بل و طورت بعض الأنشطة الصناعية المتواضعة.. راجع فليب دروز-فينسنت "الشرق الأوسط: القوى الشمولية أنظمة سلطوية والمجتمعات الجامدة" (باريس مطبوعات PUF عام 2004)

<sup>33</sup>- بوخيمة: "الحركة حركة الجمعيات الإجتماعي في سوريا"

دفع سوريا على حافة الإفلاس في أواخر التسعينات دفع النظام إلى الدعوة لمبادرات على أسس إيمانية-خيرية خاصة لمواجهة العواقب المتزايدة لتدهور الأوضاع الاجتماعية... ومع وضع راس المال الاجتماعي لحركة-جماعة زيد في الاعتبار وكذلك علاقتها الوثيقة بالقطاع الخاص تقدم قادة الجماعة للعب الدور المحوري في المجال الخيري في دمشق.. في العام الفين وإثنين أطلق الشيخ سرية الرفاعي مشروع "حفظ النعمة" وهو أكبر مشروع خيري في العاصمة بلغ عدد المستفيدين منه الآن ستة آلاف أسرة وفي العام الفين وستة سيطر فازوا رجال أعمال مرتبطين بالحركة-جماعة زيد-على في انتخابات مجلس إدارة اتحاد الجمعيات الخيرية في دمشق<sup>34</sup>.

إن نمو الأنشطة الخيرية لحركة زيد تشير إلى نوع من الدعم من قبل الحكومة حيث إن جمع التبرعات في المساجد يتضمن موافقة حكومية من قبل وزارة الأوقاف الدينية.. ولهذا السبب قال الشيخ أسامة الرفاعي إن الحركة "نسجت علاقات مع الحكام"... إلا أن التقارب بين حركة جماعة زيد والنظام والنظام لا يزال غامضاً حيث يحاول الأول الاستفادة من المبادرات للحسنة-الخيرية للثاني فيما يحافظ على استقلاله السياسي وبالتالي رأس ماله الاجتماعي..

في العام الفين وإثنين زار الرئيس بشار الأسد بزيارة خاصة للشيخ أسامة الرفاعي وهو حدث غير مسبوق حيث اعتاد الرئيس على الاكتفاء باستقبال العلماء في قصره خلال الاحتفالات العامة.. بادرة التقدير هذه ترمز إلى توجه النظام الجديد في ذلك الوقت إلى توسيع قاعدة الدعم الذي يمتلكه في الدوائر الدينية إلى أبعد من الحلفاء التقليديين مثل عائلة كفتارو وسعيد رمضان للبيت الوطى..

بتخفيف القيود عن حركة جماعة زيد يكون النظام قد تقرب لأجزاء كبيرة من الراي العام الديني-المتدين في دمشق.. بالرغم من هذا فإن تحسن العلاقات بين حركة زيد والنظام لم يتحول إلى دعم مفتوح تحالف حقيقي.. ورغم أن عدداً من قيادات الجماعة اقترب من المؤسسات الإسلامية الرسمية إلا أن الموقف العلني تجاه النظام ظل فاتراً... وعلى سبيل المثال فإن اللائمة لبعض الخطباء في المساجد التابعة للحركة لا يطلبون من المصلين في خطبة الجمعة الدعاء للرئيس بشار الأسد بل يستخدمون التعبير المطاط "وليأبى الأمر فينا لأرباب الحقوق علينا"... وإضافة إلى ذلك ففي الوقت الذي نظمت أكاديمية كفتارو احتفالاً كبيراً بمناسبة إعادة انتخاب الرئيس لفترة ثانية في مايو ألفين وسبعة فإن قادة حركة جماعة زيد تبثوا دوراً أقل وضوحاً في دعم حملة التصويت بنعم لصالح الرئيس.. فبجوار مسجد زيد كانت هناك هذه اللائحة الانتخابية البسيطة التي تقول "نعم للداعم الأول للعمل الخيري"..<sup>35</sup>

إن انفتاح الرئيس على أسامة الرفاعي لم يؤثر سوى بقدر ضئيل على صراحة الشيخ.. ففي خطبة في يوليو عام الفين وستة هاجم الشيخ صحيفة الثورة الرسمية لانتقادها تحويل تخصيص منتزه حديقة كفر صوصي-سوسة المجاور لمسجده إلى حديقة إسلامية مخصصة للنساء والأطفال... تحويل المنتزه الحديقة قامت به السلطات المحلية المختصة تحت ضغط على أساس طلب من الدوائر المحافظة في الحي... ووفقاً للشيخ فإن التحريض ضد المتدينين الذي احتوته المقالة المنشورة في صحيفة الثورة قامت به مجموعة صغيرة من الإعلام ستؤدي إلى تتحمل مسؤولية تحول الناس عن الإعلام الرسمي..<sup>36</sup> كما انتقد أعضاء آخرون في الحركة مقالات نشرها كتاب علمانيون في صحف رسمية وخاصة..<sup>37</sup>

في مارس العام ألفين وسبعة قال- أسامة الرفاعي في خطبة كلمة حضرها الآلاف بمناسبة المولد: "يجب على أن أحذر أنبه القادة في بلدنا وفي الدول الإسلامية.. القادة في جميع المجالات السياسية والدينية والثقافية والإعلام أن قوتهم - حتى غير المسلمين منهم - تنبع من الأمة... ولهذا فمع عودة الأمة إلى الدين-دينها فإن هؤلاء القادة ليس أمامهم الخيار سوى أن يعكسوا رغبة الناس ويرفعوا راية الإسلام.. وبالتأكيد فإن وضعهم في المستقبل يتوقف على عودتهم لله ولإرادة الأمة... وإذا لم يعكسوا هذه الإرادة

<sup>34</sup>- توماس بيري وكجيتيل سيلفيك: " العلماء، القطاع الخاص والدولة في سوريا بشار الأسد" (مقال سينشر)

<sup>35</sup>- بابل الرفاعي: " إمام مسجد الرفاعي يتهم الإعلام الرسمي بتقويض الدين" (باللغة العربية) - الجمل في 9 يوليو 2006  
<http://www.aljaml.com/node/3713>.

<sup>36</sup>- بالتحديد مقالة عن المساواة بين الجنسين نشرت في مطبوعة "بلدنا" (مأمون الجوجاتي) خداع العقول - صدى زيد في 16 يناير 2007  
<http://sadazaid.com/zaid/Modules.php?name=News&file=article&sid=247> و مقالة أخرى من "الثورة" التي نشر رد عليها في مطبوعة مجلة وزارة الأوقاف الدينية (سرية الرفاعي) رسالة من نهج الإسلام إلى الثورة) العدد 107 (ابريل 2007) ص 20-22.



علي الإدريسي - باحث مستقل متخصص في الحركات الإسلامية  
بناء أو إعادة بناء حركة إسلامية في ظل نظام شمولي عسكري علماني \_ دراسة سوريا كحالة

فإنهم سيفقدون مصداقيتهم في النهاية وسيفقدون كل شيء في العالم-الدنيا وسيستبدلهم الله بإناس أفضل...<sup>37</sup>

---

<sup>37</sup> - أسامة الرفاعي (كلمة بمناسبة المولد النبوي ألقاها في مسجد الشيخ عبد الكريم الرفاعي في دمشق - 31 مارس 2007).